طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
لائحة القومي العربي
www.qawmi.com

العدد رقم (48) صدر في 1 أيار عام 2018 للميلاد

طلقة تنوير 48

أربع سنوات من طلقات التنوير

تدخل مجلة "طلقة تنوير"، مع نشر عددها الثامن والأربعين، عامَها الخامس على التوالي، وتفتخر أنها تمكنت من الاستمرار في الصدور على موعدها شهراً بعد شهر في كل الظروف والأحوال التي لم تكن هيّنة دوماً، وقد تم ذلك بتوفيقٍ من الله وبجهود كتّابٍ ومحررين ومصممين تطوعوا والتزموا بالعمل على استمرارها وتطويرها، وبدعم كتّابٍ آخرين غير دوريين، وبتفاعل القراء الكرام، لتصبح "طلقة تنوير" منبراً عربياً متميزاً، ولتمضي مجلتنا قُدُماً في مناقشة وبلورة القضايا النظرية والفكرية والثقافية التي تطرحها ظروف القرن الواحد والعشرين، وظروف الردة عن المشروع القومي في بلادنا، على من تبنوا الخط القومي الجذري، ولتترك "طلقة تنوير" إرثاً غنياً للمشروع القومي نرى بأنه سيترك أثراً مهماً يتجاوز المرحلة التاريخية الراهنة ولسوف يتم استحضاره بالضرورة لا عندما يعود المدّ القومي إلى سابق عهده فحسب، بل من أجل أن يعود، فقضايا البرنامج والاستراتيجية والفكر القومي، وتشكيل ردود متماسكة على أعداء الفكر القومي، ليست من النوافل، بل من ضرورات النهوض، وهذا ما نذرنا أنفسنا له في "طلقة تنوير".

أما الشأن السياسي المباشر واليومي، فيتم تناوله عبر صفحة "لائحة القومي العربي/ الصفحة الرسمية" على موقع "فيسبوك"، مع العلم أن إدارة فيسبوك سبق أن حظرت صفحاتنا مرتين من قبل تحت حججٍ واهية ومن دون سابق إنذار، وهو ما نراه جزءاً من محاولة خنق الخط القومي الجذري الذي لا تقتصر محاولة محاصرته واختراقه على "فيسبوك" طبعاً، ولذلك فإن الاستمرار في مشروع ثقافي فكري نظري مثل "طلقة تنوير" كل هذه السنوات هو إنجازٌ آخر يضاف إلى سجل "لائحة القومي العربي" على أية حال.

بدعمكم نستمر، وبنقدكم نتطور، وبمشاركتكم نبلور مشروعنا القومي العربي، مشروع تحقيق الوحدة والتحرير والنهضة، فاقرأ "طلقة تنوير" على موقع "الصوت العربي الحر"، وتابع موادها التي تُنشر تباعاً على "صفحة لائحة القومي العربي/ الصفحة الرسمية"، وعلِّق عليها وشارِكْها وناقِشْها، وراسِلْنا إن رغبت، فمثل هذا المشروع الثقافي الفكري النظري يستمد قيمته من القيم التي يرسخها، والإضافات التي يقدمها، ولكنه يستمد قيمته أكثر من أي شيء من التفاعل الذي يحظى به، فشكراً لكم، ومعاً نستمر...

هيئة تحرير "طلقة تنوير"

طلقة تنوير 48

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي... عدد 1 أيار 2018

- أربع سنوات من طلقات التنوير/ هيئة التحرير
- خطاب الهيمنة الثقافية ونفي وجود الأمة العربية/ فارس سعادة
- في معنى التحرر القومي/ بشار شخاترة
- نواب شعب أم شهود زور؟/ عبد الناصر بدروشي
- شخصية العدد: إبراهيم باشا، أعظم قائد عسكري عربي حديث/ نسرين الصغير
- ترامب وحروبه التجارية: هل دخلت العولمة بداية نهايتها؟/ إبراهيم علوش
- الصفحة الثقافية: نصوص محمد طمليه/ طالب جميل
- قصيدة العدد: حَليبُكِ في دَمِ الشهداءِ ساقيةٌ/ الشاعر يوسف الخطيب
- كاريكاتور العدد

لمتابعتنا انظر:

لمتابعتنا على فيسبوك، ابحث عن:
لائحة القومي العربي/ الصفحة الرسمية

روابط صديقة:
موقع الصوت العربي الحر
www.freearabvoice.org

راسلنا على:
arab.nationalist.moderator@gmail.com

طلقة تنوير
لائحة الفيسبوك العربي
www.ghorni.com
العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

خطاب الهيمنة الثقافية ونفي وجود الأمة العربية

فارس سعادة

عاد مصطلح الهيمنة الثقافية إلى ساحات النقاش والحوار الثقافي والسياسي من جديد بعد الضربة التي تلقتها الإمبريالية الغربية في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية خلال الأزمة المالية التي عصفت بها وكادت أن تقسم ظهرها العام 2008. الهيمنة الثقافية إحدى أهم أدوات الحرب الناعمة لدى الإمبريالية التي تطغى على الكثير من المؤسسات في دول العالم، فالهيمنة الثقافية كما وصفها غرامشي هي هيمنة ناعمة متعددة المراكز تخترق المدارس والدوائر الثقافية المختلفة وتهدف إلى خلق وإنتاج حالة من القبول لدى الشعوب في دولها وفي الدول الأخر أي الدول المستعمرة "بفتح الميم" أو الدول التي لا تزال تشكل سوقاً لدى الرأسمالية الغربية. وما يساعد هذه الهيمنة على الاستمرار هو الدعم المالي غير المحدود لمؤسسات المستعمِر وسيطرة الإمبريالية على مصادر المعرفة من جهة، وعدم إنتاج خطاب مضاد وثقافة "بديلة" أو مضادة للثقافة الغربية من جهة أخرى، وإن تم تصدير خطاب ما يتصف بأنه خطاب جديد يقف في وجه الخطاب الغربي "الكولونيالي" فهو إما خطاب مفصل على مقاس الغرب والاستعمار وإما خطاب رجعي يهدف إلى تحقيق مكاسب عند أحد مراكز الإمبريالية في الولايات المتحدة الأمريكية أو أوروبا الغربية أو عند الرجعيات التابعة "الكومبرادور".

تحدث غرامشي عن الوحدة العضوية بين الحياة الاجتماعية والحتمية التاريخية للاقتصاد أي الماركسية، وفرّق بين الهيمنة والسيطرة بشكل واضح، إذ أن استخدام الهيمنة الثقافية من قبل الإمبريالية كان يهدف للهيمنة بشكل مقبول من قبل الآخر، أي المستعمَر، مما يوفر على الإمبريالية تكاليف الحرب ومحاولات السيطرة العنيفة، فهي هيمنة "إرادية" ومقبولة من الطرف الأخر فلا تعود ثمة حاجة للسيطرة المباشرة عليه. من هنا يبرز الصراع الثقافي على مستوى المصطلحات الجغرافية-السياسية الذي يرتبط بالهيمنة التي يبتغيها الغرب على دول وشعوب العالم، ليتم تعميم مثل هذه المصطلحات من خلال الإعلام والمؤسسات التابعة للكولونيالية الجديدة في الولايات المتحدة الأمريكية.

في المقال المعنون بـ"Let`s Banish the Term "Arab world"… What Does it Mean Anyway?"، للصحفية اللبنانية-الأسترالية "Neheda Barakat" في صحيفة"The Guardian" البريطانية في تاريخ 18/4/2018، تساءلت الكاتبة حول حقيقة مصطلح "العالم العربي" وطالبت برفضه من قبل العالم الغربي لأنه ببساطة "لا يمثل "شعوب" هذه الجغرافيا، وإن أغلب المكونات القومية فيه هي ليست عربية بل هي فقط تتحدث باللغة العربية وذلك بسبب عامل الدين "الإسلام" ". كما افترضت الكاتبة وطالبت باستخدام مصطلح "MENA" وهو اختصار "لشمال إفريقيا" و"الشرق الأوسط" بديلاً لمصطلح "العالم العربي" ودعمت فرضيتها بعدة "حجج" ثقافية وإثنية ولغوية بل وجينية ! وهذه "الحجج" هي:

1. أن وصف 381 مليون نسمة في «العالم العربي» في 22 دولة مضلل وغير صحيح.
2. أن اللغة العربية تديم «هوية وهمية» وهي غير كافية لوصف هذه «الشعوب» بالعربية.

العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

3. ترجع استخدام مصطلح "العالم العربي" إلى العولمة التي جعلت من المقبول التخلص من تفاصيل الهوية، وهي هنا تقصد أن اللغة ليست مهمة في تشكيل الهوية.
4. تربط اللهجات العربية واختلافها بعدة عوامل ففي لبنان السبب هو الاستعمار الفرنسي، وهي تقول أن اللهجة العربية اللبنانية المستخدمة الآن هي لهجة متأثرة باللكنة الفرنسية! واللهجة المصرية متأثرة بالقبطية وهكذا.
5. أن اللغة العربية وصلت أينما وصل الإسلام وهذا غير كافٍ لتعميم مصطلح "العالم العربي" على هذه الجغرافيا.
6. وقالت أن الحرب الحاصلة الآن في "العالم العربي" هي حرب قومية في الأساس لكنها تحولت إلى حرب طائفية دينية بسبب تأثير تاريخ "القومية العربية" على هذه "الشعوب"!

لم تذكر الكاتبة أن مصطلح "العالم العربي" و"الشرق الأوسط" تم اختراعهما من قبل المكتب البريطاني في الهند في منتصف القرن التاسع عشر، وقللت، بل وشطبت، أهمية اللغة في تشكل الهوية القومية لأي أمة من الأمم، وهذا يتنافى مع الحقيقة التاريخية، ولن نقول مع أخلاقيات مهنة الصحافة أو الكتابة. لقد مر الشعب العربي من المحيط إلى الخليج بتاريخٍ مشتركٍ أكثر من أي أمة أخرى على وجه الأرض مقارنة بحجم الجغرافيا الضخم والموقع الاستراتيجي كممر وتقاطعٍ بين قارات العالم الثلاث، وافترضت الكاتبة بنفسها فرضيات حول اللهجات العربية واللغات القديمة بشكل فج وغير علمي، بحيث أنها نسبت اللهجة اللبنانية إلى التأثير الثقافي الفرنسي، وافترضت أن اللهجات العربية هي التي تعطي الجنسية للأقطار العربية لا تقسيم "سايكس-بيكو" الغربي للوطن العربي الذي صنع هذه الحدود الوهمية. ولم تذكر الدور الغربي في الأحداث والفوضى الحاصلة في الأقطار العربية، فنَسَبتها إلى "صراع قومي" مفترض بين "الشعوب" في الوطن العربي.

لم يكتفِ الغرب بتفكيك الوطن العربي إلى 22 دولة عربية، مرشحة للتزايد دوماً، بعضها عبارة عن محطات وقود للاستعمار، وبعضها الآخر فاشل لا مستقبل له في ظل حدود مسخ لا تسمح له بالتطور الذاتي أو غيره، ويحاول الآن تفكيك الدول العربية ذات النزعة الوطنية المستقلة والقومية العربية عبر وسائل بعضها ناعم من خلال جمعيات مثل الـ"USAID"، والآخر عنيف كما حدث في العراق وليبيا وسورية واليمن. فقبل عامٍ من الآن قام مركز الإحصاء الأمريكي "The US Census Bureau" بعقد منتدى "لتصنيف"، والأصح القول، لـتفكيك، "الأصول والأثنيات" في "الشرق الأوسط وشمال افريقيا"، أي لتفكيك الشعب العربي إلى إثنيات وقوميات وأقليات جديدة بحسب الدين والجغرافيا والتاريخ و"اللهجة".

تكاد تكون الهيمنة الثقافية هي رأس الحربة في الحرب التي تشنها الإمبريالية على شعوب وأمم العالم، وعلى رأسها الأمة العربية، من خلال تغريب المثقفين ومحاولة شرائهم بشتى الوسائل. والمقال أعلاه مثال بسيط على "الهجنة" التي حصلت في هوية الكثيرين من أبناء العرب المهاجرين بحيث أنهم تنصلوا من هويتهم العربية، بل راحوا يهاجمونها بشكلٍ عنيف رغم "سطحية" مثل هذا الطرح، إلا أن قوة المؤسسات التي تصدّر وتعمم مثل هذه الخطابات "الثقافية" هي التي تعطي هذه الطروحات القوة في الانتشار.

وقعت الكاتبة في فخ العنصرية الغربية تجاه العروبة والقومية العربية إذ أنها أبرزت في مقالها أنه لا مشكلة مع الإسلام و"الأمة الإسلامية"، وأن عمل مركز الإحصاء الأمريكي على تفكيك المنطقة إلى مزيد من "القوميات" والأقليات ورفض مصطلح "العالم العربي"، لأنه "يظلم" أهل المنطقة ويعمم صفة "عربي" بسبب اللغة المحكية فقط، سيؤدي إلى قبول العالم الغربي بشعوب المنطقة لأنهم بذلك سيفقدون صفة العربي التي حملوها "بغير حق". وهذا صحيح تماماً، حيث أن الحقد والكراهية من قبل الغرب لأهل المنطقة هو كره للعرب والعروبة، فلا مشكلة لهم مع الهندي المسلم أو الإيراني المسلم، بل مع العربي بغض النظر عن الانتماء الديني أو الأيديولوجي، وذلك ربما يعود للخطاب الغربي الكلاسيكي الموجه ضد العرب وتاريخهم الطويل في السيطرة على العالم "الأندلس" وتجربتهم المريرة في الصراع مع مصر جمال عبد الناصر.

الخطاب المضاد للاستعمار يتوجب أن يحمل فكراً ثورياً عنيفاً وواعياً في نفس الوقت، وهو خطاب لكل الجماهير من كل الطبقات الاجتماعية، أي أنه خطاب مقاومة ثوري يخترق كافة نواحي الحياة اليومية والاجتماعية في الوطن العربي وغيره من الدول المستقلة التي تحاول تحقيق الاستقلال التام عن الاستعمار والإمبريالية، لكنه ليس شيئاً إن لم يكن خطاب تحرر قومي، ونشدد على قومي، قبل أن يكون سياسياً أو اجتماعياً أو ثقافياً.

طلقة تنوير
لائحة التيسير العربي
www.tyasir.com
العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

إنه خطابٌ صداميٌ لا تصالحيٌ يعمل لتأصيل الثقافات القومية والوطنية لا «تهجينها» والقبول بأقل حقوق الكرامة القومية والسيادة الوطنية. كسر الهيمنة الثقافية الغربية بحاجة إلى تعميم خطاب ثوري مضاد لا يكون برد الفعل بل بخلق الفعل الثقافي الثوري نفسه في وجه أدوات ومؤسسات الاستعمار التي ورثت التركة الاستعمارية في فترة ما بعد الاستعمار، ولعل الموقف السياسي أحد أهم التجليات للخطاب الثوري السليم الذي يقف في وجه الإمبريالية.

نهاية التاريخ لفوكوياما، وصدام الحضارات لهنتنغتون وغيرها من النظريات أو الخطابات التي صدرها ولمعها الغرب يجب أن تواجه بخطاب آخر يحمل ثقافة الثورة أي الثقافة البديلة التي تحدث عنها غرامشي والتي لا بد من تعميمها بين الجماهير من خلال خلق تيارات شعبية مناهضة للاستعمار وإرثه أي الأنظمة الرجعية في دول ما بعد الاستعمار وكشف تفاهة هذه الطروحات من خلال تفكيكها ونقدها والرد عليها بالخطاب أو الثقافة البديلة التي لا بد أن تكون ثورية تماماً وبشكل جذري أي أنها ثقافة قومية بالأساس تحمل هم أمة من الأمم وتخرج من بين صفوفها لعلاج مشاكلها وأمراضها الاجتماعية لا إصلاح الذي لا يمكن إصلاحه أساساً فبيت العنكوبت لا يمكن إصلاحه.

طلقة تنوير
رابطة القلمين العربي
www.qlamy.com
العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

في معنى التحرر القومي

بشار شخاترة

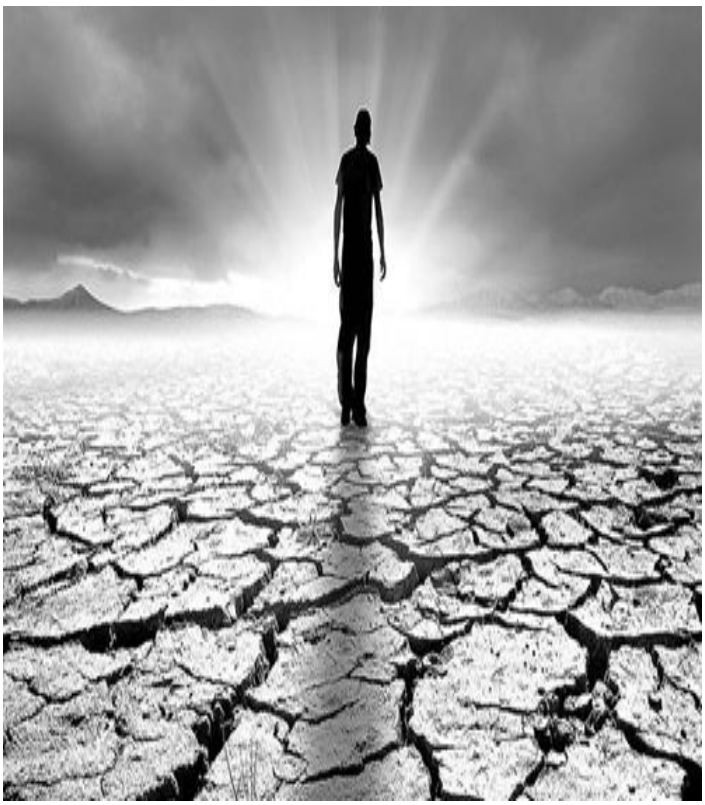

إن مقولة التحرر ظهرت في جو متناقض: فمن جهة كان استشراس الاستعمار والإمبريالية العالمية، ومن جهة أخرى صعود الاتحاد السوفياتي وتبني مظلوميات الشعوب، والواقع أن التحرر القومي تعبيرٌ مركبٌ اصطلاحاً ولفظاً، وحتى نبدأ بداية صحيحة ينبغي أن نحلل هذا التعبير الذي راج في القرن العشرين، لا سيما بعد الحرب العالمية الثانية.

لعل مدلول كلمة التحرر تتجاوز المعنى الذهني الأولي الذي يتبادر إلى الذهن نحو التحرير من الاحتلال، وإن كان التحرير يندرج ضمن المعنى العام للتحرر بالضرورة، إلا أن مفهوم التحرر يشمل كل ما من شأنه أن يحطم القيود التي تقف في وجه نهضة أمة ما، فالقيود التي تعترض دروب نهضة أي مجتمع عديدة، فالتخلف من الظواهر التي تقف حاجزاً أمام نهضة وتقدم الأمم، وقد عملت قوى الهيمنة تاريخياً على استهداف وعي الأمم وأذكت مظاهر التخلف، كما أن الجهل وشيوع الأمية والخرافة من معززات الانحطاط القومي، وإضافةً عليها فإن التبعية وتبني نهج قوى الهيمنة وربط اقتصاد الأمم بالمراكز الإمبريالية من المظاهر التي يتسع لها مفهوم التحرر القومي ويحاربها، فالتحرر صيرورة ممتدة تخوض معاركها على كافة الصعد التي تعترض طريقها وتتطور بتطور تفاصيل وخطط العدو المضادة.

الشق الثاني من التحرر القومي أن محتوى الصيرورة التحررية يتفاعل ويتطور في واقع قومي، فمشروع التحرر يصب جهده في بيئة قومية ليحارب مظاهر انحطاطها، فالتخلف والاستبداد والتجزئة والتبعية والاحتلال جميعها تتم في سياق عام قومي، لأن إنجاز التحرر والنهوض لا يمكن أن يتحقق في ظرفٍ ما دون قومي، لأن المظاهر ما قبل قومية هي عوائق موضوعية يتصدى لها مشروع التحرر، لذلك فإن مفهوم التحرر القومي هو مفهوم مركب تركيباً جدلياً، ومثل هذا الربط يناقض المقولات اللا تحررية حول فكرة التحرر على المستوى القُطري مثلاً، أو بعض مفاهيم التحرر ضمن اطار قومي التي تتبنى مناهج ليبرالية في التغيير أو تابعة للأقطاب الرأسمالية.

ليسير مفهوم التحرر القومي مساره المنتِج والإيجابي في أي أمة لا بد من أن يرتكز إلى ركائز عقلية ومنطقية تتعزز فيها المفاهيم الناقدة بشكلٍ بناءٍ للواقع، ومن منطلق أن بوصلة هذا النقد تسعى إلى مصلحة الأمة ونهضتها، على أنه من الخطأ إهمال الجوانب النفسية والروحية التي تراعي عقائد الناس وارتباطاتهم الوجدانية دينياً وأخلاقياً، فكثيرٌ من مظاهر التراجع القومي ترتبط بأفكار ومعتقدات أصولها مبنية على الخرافة وإذا اعتبرنا أن المعتقدات الدينية قد دخل عليها كثير من التشويش والخرافة والفساد في التأويل والدس في ثنايا النصوص يكون هناك مستوى من التعقيد في حل مشكلة التخلف والانطلاق نحو التطور، فمعالجة الجوانب الوجدانية والنفسية بمنهجٍ عقليٍ صرف ليس بتلك بالبساطة، فهذه النقطة تكمن في أنها جزءٌ من المشكلة وجزءٌ من الحل في آنٍ معاً.

طلقة تنوير
رابطة العلمانيين العرب
www.ghorni.com
العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

لعل قضية الإصلاح الديني تدخل في باب المعضلات التي يترتب على الدخول اليها انفجار غريزي سيحرض عليه سدنة الدين الذين احتكروا الفهم والتأويل، وعملوا على ترسيخ قسري لفكرة الثواب والعقاب وربطها بمفهوم غيبي يحال إليه كل الأمر، وهنالك قدرٌ كبيرٌ من تعطيل العقل حتى تترسخ هيمنة المؤسسة الدينية، ففي واقعنا العربي بقدر حاجتنا لترسيخ العقلانية في سلوكنا نحتاج إلى أن نبني حياة روحانية ايمانية حتى لو انطوت على غيبيات لكن بقدرٍ عاقلٍ قدر المستطاع، فليس منطقياً ولا تحرريا مثلاً نفي وجود إله يعبده الناس، وليس منطقياً نفي الدين من حياة الناس، فبالقدر الذي يلزم أن تُشبع روح الإنسان العربي بالدين، وبقدر حاجته إليه المتفاوتة من شخص لآخر، إلا أنها يجب أن تبقى في حدود هذا الإشباع الذاتي وبحدود السماح لأقرانه في المجتمع عامة بالممارسة ذاتها من قبلهم دون أن تتعارض وتتناقض هذه الحاجات لتصبح صراعاً.

لذلك فإن التحرر القومي في هذه النقطة يعني عدم ترك الساحة القومية نهباً لما يسمى رجال الدين، لأن كثيراً من مواعظهم تتهاوى أمام أبسط جدل عقلي، ناهيك عن افتقارها للسند، فالتعاليم الدينية أصبحت تقليداً ومسلمات ترسخت عبر قرونٍ طويلةٍ تواطأ فيها كثيرٌ ممن رغبوا في الهيمنة على عقول الناس وتجلت هذه في عصور الانحطاط، ولنؤكد أن المقصود بالإصلاح الديني لا يحاكي النمط الأوروبي في القرون الوسطى الذي تبنى نهجا فردياً تماشى مع حركة البرجوازية الصاعدة وكان يبغي من ذلك سحب البساط من تحت أقدام الكنيسة ولكنه انحدر نحو تأويلات متصهينة للمسيحية تبناها مارتن لوثر وكلفن تحت غطاء التبشير بعودة المسيح والألفية السعيدة التي حاولوا التبشير فيها والتعجيل بقدومها، ما حدث كان كسراً لنفوذ الكنيسة الكاثوليكية وانسجاماً مع الأيديولوجيا التي تتهيأ للصعود وللفكرة القومية التي بدأت تجتاح أوروبا، ولضرورة الاستقلال سياسياً عن الفاتيكان، لكن قسماً مهماً من الخرافة بقي مسيطراً على العقول وإن بقالبٍ بدا إنه ايمانيٌ متفقٌ مع أيديولوجيا العصر.

وحتى نحسن إدارة معركة التحرر القومي، لا بد من أن نضع نصب أعيننا خطة واضحة، تبدأ بتعميم الخطاب القومي وتركز وبشكل متلازم على المشكلة والحل وبذات الوقت إعطاء جرعات من التفاؤل والأمل بشكلٍ مستمر، فليس صحيحاً التركيز فقط على خطابٍ عقلانيٍ جامد كما قد يبدو للبعض، فعلى أهميته لا بد من فهم مدى تقبل الجمهور لهذا النوع من الخطاب ورغبتهم بخطاب سلس قريب من وجدانهم وميولهم الروحية، ومن هنا نستطيع تكريس خطين متوازيين في هذا المسار، الأول يتماشى مع الحاجة والرغبة الدينية، والثاني يرسم قواعدَ عقلانيةً بقالبٍ ديني وهذا لا نعدمه في فهم نصوص الدين وتطبيقاته، إذا استطعنا أن ننفذ إلى حصر تلك المفاهيم في دائرة الفرد مع التركيز على مفهوم الجماعة في إطارها القومي الجامع.

هذا التوصيف ليس بالسهولة التي تبدو فيه هنا، فالشيطان يكمن في تفاصيله العملية والتطبيقية، لكن التجارب التاريخية التي مرت بها أمم غيرنا يمكن الاستفادة منها، كتوظيف التعليم المدرسي مع أن الظاهر أن هذا البند يبدو الأقل تأثيراً، فما يحصّله الإنسان عبر دروس الوعاظ والمشايخ، أو ما يتلقنه بالوراثة المباشرة من الأسرة، أو بواسطة العقل الاجتماعي، أكبر من الأثر المدرسي لكنه يبقى مهماً، لكن توظيف الفن والأدب والمسرح وحتى الأغنية وتأهيل الوعاظ جزءٌ من خطة العمل، ومثل هذه الممارسة فيها قدر من البراغماتية، ولكن هل فعلاً يجب أن تبقى أدواتنا جامدة بقوالب محددة سلفاً؟! غير أنه من المهم أن يبقى هناك ضابطٌ يضبط إيقاع خطة العمل.

طاقة تنوير
رابطة القلمين العربي
www.qalami.com
العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

مشروع التحرر القومي يصطدم بالعقل الفردي، ويواجه آلة الغرب الضخمة فبماذا نواجهه، وهو يواجهنا بالفسيفساء الطائفية والقبلية؟ نعم، هناك مفاصل حساسة موجودة تحتاج إلى الضرب بقسوة كالطائفية، ولكن شريطة تبني مفهوم غير طائفي للدين وبذات الوقت عدم التضييق على حاجات اتباع تلك الطوائف النفسية، ومثل هذه المعادلة تحتاج أن توزن بميزان شديد الدقة والحساسية.

إن فك القيد الذي يحيق بنا لا يمكن أن ينطلق بالسهولة المتصورة في جوٍ من الترف أو في جوٍ من شيوع النزعة الاستهلاكية، وقد تحتاج الأمة إلى هزات هي قائمة فعلياً الآن، وحالة الضياع متفشية وحتى التيارات الدينية برغم توغلها في المجتمع العربي إلا أنها تواجه إشكالاً موضوعياً لعدم قدرتها على تبرير فشل مشروعها الذي بشرت فيه بإقامة دولة خلافة أو بالسيطرة على بقعة من الأرض يمكن بها أن تغير واقع الأمة لتواجه حالة من الارتداد عنها وعجزاً عن تفسير ما حدث، وكعادتها تلجأ للغيبيات، بالنهاية معركة التحرر تخاض الآن على هذا المستوى بقدر لا بأس فيه، وإن كان دون الأمل لجهة فضح التكفير وتياراته وانتهازية الإسلامويين.

في معركة التحرر العربي نحتاج إلى الجهد الموصول وأمضى الأسلحة في هذه المرحلة هي الكلمة، فلا يجب أن نبخل بها، وأن نعمم ذلك، وهي مرحلة لا بد منها وهي أساس وليس بغيره يقوم ويقوى البناء.

طلقة تنوير

العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

نواب شعب أم شهود زور؟

عبد الناصر بدروشي

لماذا لا يزال بعض القوميين واليساريين يتمسكون بنفس النزعة الجذرية التي رافقتهم منذ نشأتهم واستمرت لعقود، مع أن غالبية الأحزاب والقوى السياسية المنظمة والشخصيات المستقلة، إن لم نقل كلها، قامت "بتطوير" خطابها لينسجم مع متطلبات المرحلة الحالية التي باتت تستوجب الكثير من "المرونة والحكمة" (كما يدعون)؟

فالثورة والعنف الثوري والاستبداد الوطني هي لغة ولّى عهدها ودُفنت مع انقضاء أيام المد الثوري في القرن المنصرم، بحسب زعم أصحاب هذا القول من اليساريين والقوميين الجدد. ولأن طرح السؤال الصحيح هو نصف الإجابة نعيد صياغة السؤال الذي بدأنا به ليصبح كما يلي:

لماذا تخلت الأحزاب القومية واليسارية العربية عن خطابها ونهجها الذي بدأت به؟ ما السر وراء تخلي الأحزاب القومية واليسارية عن جذريتها، وعلى أي أساس يكون تغيير المسلكيات؟ هل أن الأهداف والمبادئ تهترئ وتسقط بالتقادم؟

نشأت التيارات القومية واليسارية العربية بمفهومها الحديث بعد أفول نجم الاحتلال العثماني وبداية عصر الاحتلال الغربي، وكانت قوى تحرر وطني تنادي بالوحدة وبالثورة على الظلم والاحتلال فقارعت قوى الاستكبار العالمي وتمكنت من الوصول إلى سدة الحكم في عدد من الأقطار وعملت على الإطاحة بعدد من الأنظمة الرجعية وكانت مسيرتها نجمة مضيئة في تاريخنا العربي وحافلة بالإنجازات ولا تخلو من الانكسارات والأخطاء.

وبعد أن كانت قوى ثورية تقطع مع الواقع السائد وتعتبر أن منظومات الحكم في الأقطار العربية فاسدة من أساساتها تستوجب احداث انقلاب جذري فيها ولا يمكن التعايش معها أو تجميلها من الداخل، تحولت إلى قوى إصلاحية تؤمن بمبدأ "التشاركية في الحكم" (تشاركية الشريف مع الخائن والحر مع التابع صاحب الأرض وبائع العرض).

مع بدء الحملات الانتخابية في عددٍ من الأقطار العربية يتساءل البعض عن السر وراء إعراضنا عن المشاركة والتصويت في الانتخابات البلدية والرئاسية والتشريعية، مع أننا أفردنا العدد الثامن والعشرين من مجلة طلقة تنوير لموضوعة الانتخابات وموقفنا منها الا أننا نعيد تسليط الضوء على بعض جوانب المسألة.

في زمن المد الثوري كانت القوى الرجعية تتهم الخطاب القومي واليساري العربي بأنه خطابٌ حالمٌ خياليٌ بعيدٌ عن الواقع وتطالبهم بالتخلي عن الثورية الطوباوية والتطرف، أما اليوم ونحن نعيش سنوات عجاف من الجزر الثوري والردة، فإننا نجد أن الأحزاب التي يفترض أن تكون صاحبة المسلكية الثورية تتخلى عن مسلكيتها ووتتهم الجذريين بالتنطع والماضوية والتكلس والجمود الأيديولوجي.

العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

الدعوات التي يوجهها "القوميون واليساريون الجدد" اليوم إلى أصحاب الخط الجذري تتلخص أساسا حول ضرورة التخلي عن خطاب الستينيات وعن "الثورية المفرطة" والسقف العالي وضرورة الدخول في العملية السياسية الديموقراطية بشكلها "الربيعي" الحالي بتعلات وتحت مقولات انتهازية مثل "السياسة هي فن الممكن" و"عدم ترك الساحة خالية لأعداء المشروع القومي".

بعيداً عن "اللغة الخشبية"، كما يسميها أدعياء القومية واليسار، وبعيداً عن الشحن العاطفي، نرد على القوميين الجدد وأدعياء اليسارية ونبين موقفنا لكل من يريد فهم موقفنا بلغة بسيطة يقدر على إدراكها المواطن العربي البسيط غير المسيس:

1/ أهداف العمل القومي ليست "موضة" لتتغير مع مرور الزمن، وإنما هي أهداف منطقية فرضها واقع التجزئة والاحتلال والتخلف، وستضل أهدافاً مشروعة وقائمة حتى تتحقق،

2/ المشاركة في لعبة ما يعني بالضرورة الاعتراف بنتائجها ومخرجاتها، والمشاركة في الانتخابات في ظل واقع الجهل والفقر والتخلف، والتي تقوم على المال الفاسد والديماغوجيا التي يروجها الإعلام المملوك لرأس المال في ظل عدم تكافؤ الفرص، هو خيار أخرق،

3/ تسلل أقلية لمنظومة الحكم سواءٌ في البرلمان أم في أي جهاز من أجهزة الدولة لا يعد انتصاراً واختراقاً في صفوف العدو، كما يحاول بعض الباحثين عن النفع الشخصي لذواتهم من الوصولين إقناعنا، بل هو اختراق حققه أعداء الأمة في صفوفنا لأن وجود قوى "ثورية" في مجالس تحكمها أذناب الإمبريالية يعدّ تجميلاً لمنظومة الفساد الحاكمة وإعطائها المشروعية، أي أن يصبح الفساد "ديموقراطياً"، والخيانة وجهة نظر..

فعندما تطرح الخيانة للتصويت عليها في البرلمانات وتمرر، بحضورنا، سواءٌ صوتنا ضدها أم امتنعنا عن التصويت، فإنه يصبح من المعيب المشاركة في هذه العملية، فحتى التصويت لصالح الموقف الوطني يعتبر خيانة لأنه يشرّع للنتيجة التي ستكتسي مشروعية كونها نتيجة تم الوصول اليها "ديموقراطياً".. مثلما حصل مع مشروع الفصل عدد 27 من الدستور التونسي الذي يعتبر التطبيع مع العدو الصهيوني جريمة يُعَاقَب عليها بقانون والذي تم إسقاطه عبر "ديموقراطية" رأس المال وبمشاركة قومية ويسارية.
فالقوميون واليساريون داخل أسوار المجالس النيابية هم شهود زور ليس أكثر، ولولاهم لما اكتسب المجلس مشروعية شعبية .

4/ الحل يكمن في ترك المسارح الهزلية التي تحظى بازدراء شعبي واسع والمتمثلة في منظومة الحكم بشكلها الحالي والعمل، بدلاً من ذلك، على الالتحام بالجماهير وتحفيزها وتأطيرها ودفع الصراع بين القوى الشعبية المسحوقة ومصاصي الدماء أصحاب راس المال الفاسد والرجعيات العربية بكل تفريعاتها إلى نهاياته المنطقية تمهيداً لإطلاق ثورة شعبية حقيقية تنطلق من صفوف الجماهير لتجتث واقع الفساد من جذوره.

5/ مخطئ كل من يظن أن الإمبريالية ستسمح للقوميين واليساريين، جذريين كانوا أم إصلاحيين أم تحريفيين، باعتلاء الحكم حتى بالوسائل الديموقراطية، فالولايات المتحدة الأمريكية "ديموقراطية" حتى النخاع متى تأكدت من عجز القوى التي تشكل تهديداً لمصالحها عن الفوز بالانتخابات، وتتحول إلى قوة مستبدة تكشر عن انيابها وتستخدم قوتها الضاربة بدون أدنى ضابط متى تحقق فوز القوى المعادية لها "ديموقراطيا" مثلما حدث مع الثورة البوليفارية في فنزويلا.

6/ المشاركة في الانتخابات هو قبول بمنظومة الحكم السائدة تماماً مثل إجراء الانتخابات تحت الاحتلال وهو ما يمثل اعترافاً بمشروعية ذلك الاحتلال، وعلى سبيل الذكر نذكر أن البلدية الحالية في تونس، والتي ستنطلق في السادس من أيار/ماي 2018 الجاري، تقام في ظل القانون الذي أعد سلفا لتفتيت تونس والذي أعطى للبلديات والأقاليم صلاحيات سيادية ما يعد اعترافا بنتائجه، فبدل المشاركة في الانتخابات البلدية ترشحاً وتصويتاً كان حرياً بالقوى الوطنية مقاطعتها والتصدي لها والعمل على إجهاضها.

العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

7/ المشاركة في الانتخابات في أنظمة تحتكم لسياسات صندوق النقد الدولي هو خيانة للشعب، وأقتبس من مقولة أحد المناضلين الوطنيين في تونس: "الأسد المروض الذي يملأ الدنيا زئيراً من داخل قفص السيرك الديموقراطي لا يخيف العدو الأمريكي، من يخيفه حقا هو أسد البراري..."

في الختام نذكّر كل من يعتب علينا ويعتبر عدم مشاركتنا في المهازل الانتخابية تصرفاً سلبياً أن كل ما في الامر هو أننا نرفض التحول إلى شهود زور.. ونرفض التناقض مع ذواتنا عبر اتهام منظومة بالفساد ومن ثم ننخرط فيها حتى النخاع بحثاً عن انتصارات أصغر بكثير من انتصارات دونكيشوت في مصارعته لطواحين الرياح.

طلقة تنوير
رابطة القوميين العرب
www.qawmi.com
العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

شخصية العدد:
إبراهيم محمد علي باشا: أعظم قائد عسكري عربي منذ ألف عام

نسرين الصغيّر

ليست العربية بأحدكم من أمٍ ولا أب، إنما هي اللسان، فمن تحدث العربية فهو عربي... فإن صحّ هذا الحديث الشريف أم لم يصح، فإن ما جرى هنا مجرى الحديث يكرس فكرة العروبة الحضارية، القائمة على الانتماء الثقافي واللغوي، مقابل فرية نسبة القومية العربية للأصل العِرقي، على ما ذهبت إليه بعض المدارس القومية العنصرية ذات المنشأ الأوروبي، فالقومية العربية بالذات، من بين القوميات، تميزت باتساعها وتنوعها العِرقي، لا سيما أننا جُعلنا أمةً وسطا، على طرق القوافل التجارية والغزوات والهجرات العالمية، في قلب العالم القديم، قبل اكتشاف القارات الجديدة واستعمارها، لذلك فإن قوميتنا العربية بالذات، من بين القوميات، لا يمكن أن تُبنى على أسسٍ عرقية، بل على الهوية الثقافية والحضارية لشعبٍ متنوعٍ وأرضٍ مفتوحةٍ تفاعلا على مر الزمن لينتجا أمةً عربيةً واحدة شاء المشككون فيها أم أبوا.

ولأن العروبة هوية وانتماء ومشروع، لا أصلٌ عرقيٌ تنكّر له كثيرٌ من أبنائها، يحِقُ وصف إبراهيم باشا، ابن محمد علي باشا الكبير، بأنه قائدٌ عربي، مع أنه لم يولد عربياً، ولم يُولد في أرضٍ عربية، إنما تبنى كأبيه المشروع القومي العربي، مشروع تأسيس الدولة العربية الواحدة، الذي لا يزال المشروع الوحيد الذي يحق أن نسميه مشروعاً قومياً عربياً، وخاض المعارك الدموية من أجلها، ضد الوهابية، ضد الاستعمار الأوروبي، ضد الاستعمار العثماني، ضد التمردات المحلية في الأقطار العربية التي حرّكها الاستعماران الأوروبي والعثماني، ضد المماليك، وضد نزعات التشظي في المجتمع العربي.

لسنا نُلبس إبراهيم باشا ثوباً ليس له، فقد رَفَعَ محمد علي باشا علناً راية القومية العربية في مواجهة الاستعمارين الأوروبي والعثماني، وتبنى مشروع دولة المواطنة القومية التي يتساوى فيها المواطنون بالحقوق والواجبات، ونُقل عن إبراهيم باشا القائد العسكري الذي أدار معظم حملاته العسكرية أنه بات عربياً بعدما لونت شمس مصر دمه، وعُرف عنه أنه كان يعيش وينام ويأكل ويقاتل مع الجنود، وأنه تميّز بتشكيل قوات عربية من مصر وبلاد الشام سحق بها العدو العثماني وصولاً إلى كوتاهية عام 1832 قرب اسطنبول الحالية، حيث مرّغ أنف الغطرسة العثمانية الجوفاء بالتراب، ثم مجدداً عام 1839 في نصيبين قرب عنتاب، وهي من الأقاليم العربية السورية المقتطعة لتركيا حتى يومنا الحاضر. وليسجل التاريخ أن الدول الأوروبية العظمى آنذاك، ومنها روسيا القيصرية، هرعت لدعم الدولة العثمانية، وأنها تدخلت عسكرياً بشكلٍ مباشرٍ لإخراج إبراهيم باشا من بلاد الشام، في تكرارٍ مملٍ لدعم الاستعمار الأوروبي للإسلام السياسي في مواجهة المشروع القومي العربي منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر.

العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

ويقول معاصره البارون دوبوا لوكومت De Bois Le Comte إنه كان يجاهر بإحياء القومية العربية ويعد نفسه عربياً، وسئل كيف يطعن في الأتراك وهو منهم فأجاب: «أنا لست تركياً فإني جئت إلى مصر صبياً، ومن ذلك الحين مصرتني شمسها وغيرت من دمي وجعلته دماً عربياً». وكتب إلى أبيه في أثناء حصار عكا حين بلغه أن السلطان حشد الجيوش لدفع الجيش المصري عن أسوارها «ومهما بحثوا فلا يمكنهم أن يعثروا على مثل جنود العرب الذين أقودهم أنا».

كثيرون يعرفون محمد علي باشا ومشروعه الوحدوي النهضوي العربي، لكن الحقيقة تبقى أن مشروع محمد علي باشا كان سيبقى حلماً عربياً، أجيال وراء أجيال (حتعيش على حلمنا)، لولا الأداء العسكري الرائع لإبراهيم باشا، ابن محمد علي باشا، الذي قيل أنه ابنه بالتبني، والذي ولد عام 1789، تاريخ الثورة الفرنسية، والذي توفي عام 1848، وهو لم يبلغ الستين بعد، وقيل أنه توفي مسموماً، بعدما تولى مصر بعد أبيه محمد علي. وليس ذلك مفاجئاً، بالنظر لما مثّله إبراهيم باشا، كأني به خالد الذكر جمال عبد الناصر، بالرغم من جهل البعض الذين يخلطون بين مشروع محمد علي القومي العربي، وابنه إبراهيم، وبين ذرية محمد علي التي حكمت مصر حتى ثورة يوليو عام 1952، والتي تحولت إلى كمبرادور حقير لا علاقة لها بتراث محمد علي وإبراهيم.

كانت من حملات إبراهيم باشا الأولى حملته ضد الوهابيين في الجزيرة العربية بين عامي 1816-1819، بعد أن عاث الوهابيون فساداً وإرهاباً وتكفيراً في العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية في بدايات القرن التاسع عشر، وقد دمر إبراهيم باشا عاصمتهم «الدرعية» آنذاك التي لا تزال قاعاً صفصفاً حتى الآن. وبين عامي 1821-1822، قاد إبراهيم باشا حملةً في السودان، تأكيداً على وحدة وادي النيل التي لم يفصمها في ظل «الاستقلال» إلا الاستعمار البريطاني. لكن أهم معارك إبراهيم باشا كانت في بلاد الشام بين عامي 1831-1840، في مواجهة الدولة العثمانية والاستعمار الأوروبي والتمردات المحلية التي غذاها كلاهما. وهنالك طبعاً حرب المورة ضد التمرد اليوناني على الاحتلال العثماني عام 1824، وكان محمد علي باشا لا يزال وقتها «والياً عثمانياً»، كوفئ على قمع التمرد اليوناني بجزيرة كريت اليونانية، فأصر على حكم بلاد الشام، وهو ما أنكره العثمانيون عليه، فكان ما كان، وكان أول مشروع وحدوي نهضوي تحرري عربي حقيقي جمع التصنيع والعسكرة وبناء الدولة المركزية بين الجزيرة العربية وبلاد الشام ووادي النيل لولا تدخل الاستعمار «الصليبي» لمصلحة «الخلافة العثمانية» ضد محمد علي وابنه إبراهيم، ويا لعار الإسلامويين على مثل هذا التاريخ المعيب!

ابحثوا عن تاريخ إبراهيم باشا، فمهما قلنا، فإنه أقل مما يستحقه، إنما أردنا تعريف العرب بأبطالهم الحقيقيين الذين يبرز إبراهيم باشا من بينهم كأهم قائد عسكري حقق إنجازات قومية وحدوية تحررية يعز نظيرها منذ القرون الوسطى. إن أمة لا تعرف أبطالها لا يمكن أن تنهض، وإن شعباً لا يدرك الفرق بين عدوه وحماته لا يمكن أن يتحرر. باختصار، القومية العربية هي الحل، وهي المستهدفة، ومَن دعم الاستعمار العثماني في بلادنا هو الاستعمار الأوروبي، وما سمح للاستعمار الأوروبي أن يتغول على بلادنا هو قرون التياسة العثمانية.

طلقة تنوير
لائحة القيمين العرب
www.qiyami.com
العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

ترامب وحروبه التجارية: هل دخلت العولمة بداية نهايتها؟

إبراهيم علوش

تجبر الصين، بحسب مزاعم غربية، الشركات الأجنبية العاملة عندها على نقل التكنولوجيا للشركات الصينية، والغرب يعتبر ذلك "انتهاكاً لحقوق الملكية الفكرية" (مجلة "فوربس"، 3 آذار 2018). وبحسب تحقيق أجراه البيت الأبيض في آب 2017، فإن السياسات الصناعية الصينية تجبر الشركات الأمريكية على كشف أسرارها التكنولوجية لنظيراتها الصينية وعلى تشكيل مشاريع مشتركة مع الشركات الصينية،تمكن الأخيرة من الاطلاع من اكتساب المهارات والقدرات التكنولوجية الأمريكية، كشرط للاستثمار في الصين، الأمر الذي يشكل إحدى ذرائع إدارة الرئيس ترامب لفرض الضرائب الجمركية على المنتجات الصينية (موقع Quartz، 22 آذار 2018). وهو ما تحذر الصين من أنها سترد عليه بضرائب جمركية مضادة، في جوٍ عامٍ يبدو فيه بأن العالم ينزلق أكثر فأكثر نحو حروب تجارية وقيود على الانتقال الحر غير المقيد للسلع والخدمات ورأس المال والعمال، هي بالتعريف النقض الموضوعي للعولمة.

اتفاق تجارة حرة، يخفض القيود الجمركية وغير الجمركية، ويضع مجموعة قواعد تؤسس لفضاء اقتصادي أوسع، في منطقة المحيط الهادئ، في تشيلي، سانتياغو، في 8 آذار 2018، بين 11 دولة، هي استراليا، بروناي، كندا، تشيلي، اليابان، ماليزيا، المكسيك، نيوزيلندا، البيرو، سنغافورة، وفيتنام... والطريف أن الولايات المتحدة غائبة طبعاً، والصين التي كان الاتفاق موجهاً ضدها أصلاً غائبةٌ أيضاً، وقد اعتبر الاتفاق رسالة على المضي قدماً في مسيرة العولمة، لا سيما بعد انسحاب الولايات المتحدة من اتفاق الشراكة الأولى عبر المحيط الهادئ في بداية عام 2017، الذي أتى الاتفاق الجديد للشراكة عبر منطقة المحيط الهادئ بلورةً له، وقد اعتبر الاتفاق الجديد تأكيداً على أولوية التجارة الحرة من قبل دول تشكل بمجموعها 13% من الناتج المحلي الإجمالي في العالم، أو حوالي 10 ترليون دولار، في وجه النزعة الحمائية التي تتبناها إدارة ترامب، والتي راحت تجنح إليها أيضاً دولٌ كثيرةٌ.

لكن الاتفاق الجديد للشراكة عبر المحيط الهادئ يتضمن أيضاً فقرات تتناول المنشآت الاقتصادية المملوكة للدولة و"تدخلها في الأسواق"، وفقرات تفصيلية أخرى تتناول حماية حقوق الملكية الفكرية للشركات متعددة الجنسيات العاملة في الخارج، فيما يمكن اعتباره موجهاً ضد الصين، التي تتحكم شركاتها العامة بتجارتها الدولية، والمتهمة بالتعدي على حقوق الملكية الفكرية للشركات الغربية، وهو ما يجعل انخراط الصين في الاقتصاد الدولي "مشبوهاً" من وجهة النظر الغربية والمعولمة، و"غير نقي"، مدفوعاً بدوافع قومية!

اتفاق الشراكة عبر المحيط الهادئ الأصلي، لعام 2016، الذي لم يصادق عليه الكونغرس الأمريكي بسبب الانقسامات في صفوفه، والذي انسحبت منه إدارة الرئيس ترامب، كان بالأساس جزءاً من استراتيجية إدارة الرئيس الأمريكي السابق أوباما للتركيز على آسيا، وللتأكيد على القيادة الأمريكية للاقتصاد العالمي في القرن الواحد والعشرين، في مواجهة الصعود الصيني، وميلان كفة الاقتصاد العالمي شرقاً، ولذلك اعتبر الكثير من المحللين انسحاب الولايات المتحدة من ذلك الاتفاق خبراً جيداً للصين التي كانت وكالة أنبائها الرسمية قد وصفت الاتفاق بأنه "الذراع الاقتصادية في استراتيجية إدارة أوباما الجغرافية السياسية لفرض هيمنة واشنطن على المنطقة".

العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

لكن ترامب وفريقه الاقتصادي عاكفان على تفكيك اتفاقات التجارة الحرة التي تربط الولايات المتحدة بالعالم، وماضيان في شن الحروب التجارية على شركاء الولايات المتحدة التجاريين، ولذلك فإن المضي قدماً بتوقيع اتفاق تجارة حرة في منطقة آسيا-المحيط الهادئ الاقتصادية، بدون الولايات المتحدة، يمثل تأكيداً على التوجه المناقض لتوجه إدارة الرئيس ترامب الذي قام مؤخراً بفرض رسوم جمركية بمقدار 25% على واردات الفولاذ، و10% على واردات الألمنيوم.

كذلك توقفت المفاوضات حول إنشاء أكبر اتفاق تجارة حرة في العالم (اتفاق الشراكة التجارية والاستثمارية عبر الأطلسي) بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي منذ الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام 2016، وبدأت إدارة الرئيس ترامب إعادة التفاوض مع كندا والمكسيك حول اتفاقية التجارة الحرة الأمريكية الشمالية، فيما يبدو أنه يمثل موقفاً مبدئياً من حرية التجارة خصوصاً، والعولمة عموماً، لمصلحة تحقيق مكاسب للاقتصاد الأمريكي وشركاته، بدلاً من الالتزام العقائدي الصارم بالترويج لاقتصاد معولم تحكمه الشركات الكبرى عابرة الحدود، بعيداً عن تدخل الدولة في الاقتصاد.

ويرى بعض الكتاب بأن ما يقوم به ترامب هو تراجع حقيقي عن العولمة، لمصلحة إعادة إحياء الاقتصاد الوطني الذي تعرضت قطاعاته الإنتاجية للتدمير منهجياً مع انتقال الكثير من الشركات الأمريكية إلى الدول التي تتمتع بكلف إنتاج أدنى، ليبقى اقتصاد الولايات المتحدة قائماً على الخدمات والحرب (انظر بيتر كونيغ مثلاً في موقع "غلوبال ريسرتش" اليساري في 13 آذار 2018).

ما يعزز مثل هذا الاستنتاج هو أن الاتجاه العام في الاقتصاديات الأكبر في العالم هو فرض المزيد من الإجراءات الحمائية منذ الأزمة المالية الدولية قبل عشر سنوات، وتقول وكالة رويترز في تقريرٍ لها عن الاقتصاد العالمي في 15 تشرين الثاني 2017 أن أكبر 60 اقتصاد في العالم اتخذ في السنوات الفائتة 7000 إجراءٍ حمائي (تشكل الجمارك أحد أشكالها فقط)، وأن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي مسؤولان عن 1000 منها فحسب، تليهما الهند التي وضعت 400 إجراء حمائي، ومن ثم الأرجنتين وروسيا واليابان التي تبنت ما بين 275 و365 إجراءً حمائياً لكلٍ منها، وسارت حفنة من دول العالم عكس هذا التيار، على رأسها البرازيل (منذ الانقلاب على لولا دي سيلفا)، وبعض الدول العربية، مثل السعودية وتونس، التي تبنت المزيد من الانفتاح في اقتصادها.

معامل الانكشاف يساوي الصادرات زائد الواردات مقسومةً على الناتج المحلي الإجمالي، وهو مؤشر على مدى تأثر الاقتصاد المحلي في أي دولة بالتجارة الخارجية من حيث العائدات والتوظيف والنمو، ومعامل الانكشاف بالنسبة للولايات المتحدة هو 28%، وهو في الصين 41%، وفي ألمانيا 51%. كما أن فائض الصين وألمانيا التجاري الضخم مع الولايات المتحدة يعني أن الولايات المتحدة تستورد من هذين البلدين أكثر بكثير مما تصدر، وبالتالي فإن الرد الأوروبي والصيني على أي أجراءات حمائية تستهدف صادرات البلدين للسوق الأمريكية سيكون أقل تأثيراً بكثير على الصناعات الأمريكية مما سيكون على الصناعات الصينية والأوروبية، لا سيما الألمانية، التي تصدر للولايات المتحدة. النقطة أن هذا يشجع إدارة ترامب على فرض رسوم وعوائق جمركية وغير جمركية على الواردات الصينية والألمانية إلى الولايات المتحدة وهو مقتنعٌ أن أي رد فعل انتقامي ضد الصادرات الأمريكية إلى البلدين سيكون أقل ضرراً على اقتصاد الولايات المتحدة من العكس.

الخطاب الرسمي للحزب الحاكم والدولة الصينية هو أن الحرب التجارية التي يخوضها ترامب ضد الصين هي دليلٌ آخر بأن الولايات المتحدة تستهدف الصين كقوة عالمية صاعدة. لكن الخطاب الإعلامي الصيني يعمل أيضاً على شق الصف الغربي، وكسب الأوروبيين إلى جانبه، من خلال تقديم ترامب كعدو للعولمة والمؤسسات الاقتصادية الدولية والتحكيم الدولي، كما جاء في افتتاحية عنيفة في صحيفة "الشعب" الرسمية الصينية في 5 نيسان 2018. ولا ننسى أن الرئيس الصيني ذهب إلى دافوس (المؤتمر السنوي لأكبر ألف شركة في العالم في منتجع دافوس السويسري) عام 2017 ليصف السياسات التجارية لإدارة الرئيس ترامب بأنها كمن "يحبس نفسه في غرفة مظلمة"!

العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

ويصر الأوروبيون، وأنصار العولمة في الولايات المتحدة، بأن ترامب يخوض المعركة بشكل أرعن ضد الصين لأنه كان من المفترض به أن يوحد الصف مع الأوروبيين ضدها، والاحتجاج على الصين، بحسب أنصار العولمة الغربيين، الأمريكيين والأوروبيين، هو تدخل الدولة في الاقتصاد والتجارة عبر الشركات الصينية العامة، أو عبر السياسات التجارية، وفرض نقل التكنولوجيا الغربية بشكل شبه قسري على الشركات الغربية العاملة في الصين (انظر مثلاً مقالة "لمَ الصين واثقة بأنها تستطيع أن تهزم ترامب في حرب تجارية" في صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية في 5 نيسان 2018)، فالمعركة الأوروبية والأمريكية ضد الصين يفترض أن تكون معركة واحدة لأنها معركة رأس المال المالي الدولي ضد الدول المستقلة والصاعدة، وضد نموذج التنمية الاقتصادية الذي تقوده الدولة ولا يخضع لمنظومة الهيمنة الإمبريالية، بل يخوض غمار الاقتصاد الدولي انطلاقاً من مشروع تنمية قومي مستقل.

ثمة معركتان أساسيتان هنا إذن: أولاً معركة الغرب ضد الصعود الصيني (وضد الدول المستقلة عموماً)، وهي معركة ذات أبعاد اقتصادية وجغرافية سياسية، وثانياً معركة داخل الغرب ضد رأس المال المالي (راعي العولمة) يشنها الحرس القديم الداعي للعودة لأطر الدولة القومية والإجراءات الحمائية في الدول الغربية، وقد اختلطت أوراق هاتين المعركتين بسبب صعود نجم اليمين الشعبوي في الدول الغربية، لا سيما بعد الأزمة المالية الدولية عام 2008، بخطابه المعادي للعولمة والتجارة الحرة والهجرة.

ومن الطبيعي أن تؤدي سيطرة اليمين الشعبوي، باسم الحرس القديم، والدفاع عن الاقتصاد القومي في وجه العولمة، إلى نشوء سلسلة أخرى من المعارك الداخلية بين الاقتصادات القومية نفسها في الدول الصناعية المتقدمة نفسها، على غرار ما جرى بين البرجوازيات القومية في الدول الصناعية قبيل الحربين العالميتين الأولى والثانية، ولعل ذلك يتجلى، أكثر ما يتجلى، في الفائض التجاري الذي تحققه ألمانيا مع الولايات المتحدة، والذي بلغ قمة قياسياً هو 50 مليار يورو في العام 2017، وهو ما يستفز ترامب كثيراً، حيث أنه قال في تغريدة له في شهر آيار من ذلك العام: "لدينا فائض تجاري ضخم مع ألمانيا، إضافةً إلى أنهم يدفعون أقل بكثير مما ينبغي على الناتو والدفاع، وهذا أمر سيء بالنسبة للولايات المتحدة، وهو أمر سوف يتغير". وهو ما يعني فعلياً أن ترامب يطالب ألمانيا بأتاوة شبيهة بتلك التي يفرضها على الدول الخليجية، وهو ما يدفع بعض الأوروبيين إلى حالة تقارب مع الصين وروسيا، بالرغم من وجود تناقضات أوروبية أخرى معهما.

دعاة العولمة غير المقيدة يعتبرون بأن إجراءات ترامب الحمائية ضد الصين لن تصيب الصين وحدها. موقع "بلومبرغ" أورد مؤخراً مثلاً دراسة لمنظمة OECD (المنظمة الاقتصادية للدول الغربية وتوابعها) تشير إلى أن المنتجات التي تم تصديرها من الصين في العام 2011 جاء ثلثها من مكونات ومدخلات غير صينية، يابانية وأمريكية وكورية جنوبية، كما أن الجمارك الانتقامية الصينية على السيارات المستوردة من الولايات المتحدة للصين لن تصيب الشركات الأمريكية التي تصنّع معظم سياراتها للسوق الصينية في الصين نفسها، بل ستصيب شركتين ألمانيتين (ديملر وBMW) التي تصدّر السيارات للصين من مصانع في الولايات المتحدة (أنظر موقع "بلومبرغ" في 12 نيسان 2018 تحت عنوان "استعدوا للعواقب غير المقصودة لحرب ترامب التجارية").

بالرغم من ذلك يرى بعض أنصار العولمة بأن تصاعد الخطاب المناهض للعولمة في الغرب لا يعكس الاتجاه التاريخي نحو المزيد من التوسع في التجارة الدولية والاستثمار الأجنبي المباشر الذي شهد، بحسب هؤلاء، ارتفاعاً نسبياً، ولو ببضع نقاط مئوية، عما كان عليه في خضم الأزمة المالية الدولية عام 2008، وبعد أزمة الديون في منطقة اليورو بين 2010-2012 (انظر مثلاً Globalization in the Age of Trump, Harvard Business Review, July-August 2017 Issue).

العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

ولا شك بأن التجارة في السلع كانت أعلى أيضاً ببضع نقاط مئوية خلال العام 2017، وفي بداية العام 2018، عما كانت عليه خلال الأزمة قبل عشر سنوات، واقترب معدل النمو الاقتصادي العالمي من حوالي 3 خلال عام 2017، وهو أعلى معدل منذ 2011، وهو ما يعزز التجارة الدولية، مع ارتفاع الدخول وازدياد الطلب على الواردات، مع بقاء العوامل الأخرى ثابتة، بحسب تقرير اقتصادي للأمم المتحدة في 2018، يمكن إيجاده على هذا الرابط:
https://www.un.org/development/desa/dpad/wp-content/uploads/sites/45/publication/WESP2018_Full_Web-1.pdf

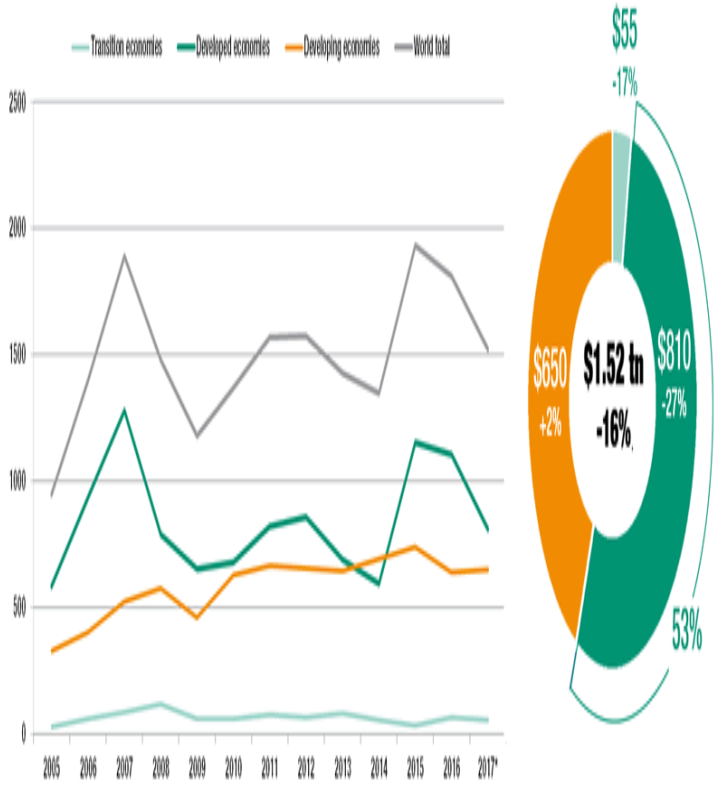

لكن بحسب تقرير آخر لمنظمة "أونكتاد" التابعة للأمم المتحدة، فإن الاستثمار الأجنبي المباشر انخفض في العام 20117 بمعدل 16% عن مستواه عام 2016، كما أنه شهد تقلباً كبيراً منذ الأزمة المالية الدولية، حتى أنه عاد في عام 2015 إلى مستواه عام 2007، ثم عاد للانخفاض، لا سيما في الدول المتقدمة، أي أن أحد روافع العولمة الأساسية، وهي رافعة تصدير رأس المال، تتعرض لتقلبٍ وعدم استقرارٍ شديدين، حتى مع الازدياد النسبي للتجارة بالسلع والخدمات عبر الحدود.

من جهةٍ أخرى، يمثل التركيز على التدفق الحر للسلع والخدمات ورأس المال والمعلومات والعمال عبر الحدود عوارض العولمة فقط، وبعض تجلياتها، أما القوة الأساسية المحركة لقاطرة العولمة فتبقى الشركات متعدية الحدود التي تمارس نشاطها التجاري والاستثماري والتسويقي – والسياسي طبعاً – على نطاق كوني. وبحسب مجلة "ذي إيكونومست" البريطانية في 28 كانون الثاني 2017 فإن الشركات الـ700 الأكبر في العالم شهدت تراجعاً في أرباحها بمقدار 25% بين عامي 2011 و2016، كما أن العائد على القيمة الرأسمالية لتلك الشركات انخفض من 18% إلى 11% خلال تلك الفترة، فيما كانت معدلات نمو أرباح وعوائد ومبيعات الشركات المحلية (أي غير العالمية) يزداد، فيما اعتبرته "ذي إيكونومست" دلالةً على أن الشركات العابرة للحدود استنزفت مميزات اقتصاد الحجم (انخفاض التكلفة الوسطية للوحدة الواحدة مع ازدياد الانتاج في الصناعات الكبيرة) ومميزات الفروق بين كلف الأجور وأسعار المدخلات الأخرى في دول "العالم الثالث" وارتفاع كلف الإدارة في الشركات الدولية عنها في الشركات المحلية.

ما سبق ربما يرجح فرضية أن صعود اليمين الشعبوي في الغرب عموماً، والولايات المتحدة خصوصاً، شكّل حركة تصحيح ضمن العولمة، بعدما انفلش الاستثمار عبر الحدود أكثر مما تبرره حسابات الجدوى الاقتصادية، وباتت العولمة بحاجة للتمحور وإعادة التمركز، تمهيداً لمرحلة انطلاق جديدة للعولمة قد تتخذ أشكالاً مختلفة عن تلك التي اتخذتها في المرحلة الواقعة بين انهيار دول المنظومة الاشتراكية والأزمة المالية الدولية، أي بين عامي 1991 و2008 ("صعود اليمين الشعبوي في الغرب: حركة تصحيح ضمن النسق الإمبريالي؟"، إبراهيم علوش، طلقة تنوير 34).

مهما يكن من أمر، فإن الاقتصاد العالمي والتجارة الدولية من الواضح أنهما يتعافيان من آثار الأزمة المالية الدولية قبل عشر سنوات، ولكن في ظل شروط جديدة، يتجلى بعضها في التركيز على الاقتصاد القومي أكثر، وعلى الاقتصاد العالمي أقل، والشركات العالمية الكبرى لا تزال اللاعب الرئيسي في الاقتصاد الرأسمالي، حيث أن 50% من التجارة

العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

الدولية تمر من بين يديها، وقيمتها تمثل 40% من سوق الأسهم في الاقتصادات الغربية، وهي تمتلك معظم "حقوق الملكية الفكرية" في العالم اليوم، لكن الاتجاه الصاعد في الاقتصاد العالمي بات يتكشف عن صعود الاقتصادات المستقلة، لا سيما الصين، وعن ردة فعل يمنية شعبوية ضد العولمة في الاقتصادات المتقدمة، وهذه التيارات الكبرى الثلاثة المتمثلة بالتيار المعولم الذي تقوده الشركات متعدية الحدود والنخب المعولمة، والتيار اليميني الشعبوي المناهض له في الغرب المنطلق من اعتبارات مصلحة الاقتصاد المحلي أولاً، والتيار الصاعد الذي تمثله الصين والذي يمثل نموذجاً قومياً ذا نزعة استقلالية، ولكن غير متقوقع، بل منخرط بقوة في الاقتصاد العالمي، هي التيارات التي تحكم صراعاتها وتناقضاتها المشهد الاقتصادي العالمي اليوم.

الأمر الذي لا شك فيه هو أن العولمة بشكلها المفروض في الثمانينيات والتسعينيات والعقد الأول من الألفية الثالثة باتت تعرض لتحديات جدية يمكن النظر إليها كانعكاس لأمرين: أولهما الصراع بين الإمبريالية والدول المستقلة، وثانيهما الأزمة التي يعيشها النظام الرأسمالي المعولم نفسه، والتي انفجرت بقوة في الأزمة المالية الدولية وما تبعها، وفي مثل هذا الصراع الذي تبرز فيه جوانب سياسية وعسكرية، إلى جانب الاقتصاد، لا نملك كأمة عربية، وكشعوب وأمم مناهضة ساعية لتحقيق التنمية المستقلة، بعيداً عن الهيمنة الإمبريالية، إلا أن نقف مع المحور المناهض لرأس المال المالي الدولي، وللنزعة الشوفينية والعنصرية التي يعبر عنها اليمين الشعبوي في الغرب.

إن تطور قوى الإنتاج الذي اتاح نشوء ظاهرة العولمة الحديثة، لا سيما فيما يتعلق بتطور وسائل الاتصالات والمواصلات، مما خفض كلفة التواصل والسفر والشحن والإدارة عبر الحدود إلى مستويات غير مسبوقة، لا يزال قائماً على قدم وساق، لكن الجديد هو أن آفاقاً جديدة قد فتحت على أرضية ذلك التطور، بسبب تمكن الصين (وغيرها، ولو بدرجة أقل..) من دخول غمار الاقتصاد العالمي بقوة من موقع غير تابع للإمبريالية، وبسبب أزمة علاقات الإنتاج الرأسمالية المعولمة التي وضعت النخب المعولمة موضع شكٍ واتهامٍ في بلادها، لنشوء نظامٍ عالميٍ جديد، لا يمكن أن نكون كعرب، وكشعوب طامحة للتحرر، لاعبين أساسيين فيه إلا إذا انخرطنا بقوة في مشروع مناهضة الإمبريالية وفي مشروع التنمية المستقلة.

طلقة تنوير
العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

الصفحة الثقافية: نصوص محمد طمليه
طالب جميل

للكاتب والقاص المبدع الراحل محمد طمليه عدة مجموعات قصصية هي (جولة عرق، الخيبة، ملاحظات على قضية أساسية، المتحمسون الأوغاد)،وكتابان هما عبارة عن مجموعة نصوص ومقالات صحفية (يحدث لي دون سائر الناس) و(إليها بطبيعة الحال)، وهو آخر كتاب صدر له عام 2007 قبل وفاته، وكتابان آخران تم إشهارهما بعد وفاته وهما (على سرير الشفاه) و(شاهد عيان).

ومحمد طمليه كاتب أردني ولد في مدينة الكرك الأردنية عام 1957، وتوفي في تشرين أول من العام 2008 بعد صراع مع المرض استمر لأكثر من أربع سنوات، ويعتبر أول كاتب أردني ساخر يؤسس لكتابة ساخرة منتظمة في الأردن.

حاول طمليه عبر نصوصه القصيرة ومقالاته الصحفية أن يقول شيئاً مختلفاً عما يقوله الآخرون ويمهد الطريق للقارئ ليكون مستعداً للخروج عن المألوف من خلال نصوص مميزة وممتعة قريبة منا تحاكي هواجسنا وتسبقنا لقول ما نريد أن نقوله، ويستخدم طريقته الخاصة في الكتابة ليتناول تفاصيل من الواقع وينسج منها قصصاً وحكاياتٍ قصيرة ومكثفة بأسلوبه التهكمي الساخر، وبكلمات تسلك طريقها بسهولة إلى نفس القارئ، لأنها بكل بساطة ليست بعيدةً عن يومياتنا، ولأنها تسخر من واقعنا المليء بالمشاهد المرّة التي تبعث على السخرية.

وطمليه القاص الذي تحوّل إلى كتابة المقالة الساخرة التي يحاول من خلالها الاعتناء بالتفاصيل المهملة والهامشية مستغلاً قدرته الفذّة على الانتباه والتقاط المشاهد الدقيقة ولملمة الأحداث الصغيرة ورسم الكلمات القوية والمعبّرة عبر جمل غاية في الرصانة والجودة استطاع أيضاً أن يؤسس لنفسه أسلوباً كتابياً مزج فيه ما بين الصحافي والنص الأدبي.

استطاع طمليه معاينة الواقع ورصد كثيراً من المشاهدات والتفاصيل اليومية لينقض على الرتابة ويثور على كل التفاصيل التقليدية ويثأر من الملل من خلال تناول عدة موضوعاتٍ وقضايا ذاتية واجتماعية وسياسية وحياتية يومية وظواهر تحدث دون سابق ترتيب في مجتمعنا، وموضوعاتٍ سياسيةً لها علاقة بأحداث معينة تبرز فيها خلفيته الثقافية وتجربته في العمل السياسي.

كما رصد بعض اليوميات والتفاصيل الحياتية العادية وتناول بعض الهواجس الذاتية حيث استطاع أن يتحرك في نصوصه بحرية مطلقة، ويظهر في بعض النصوص ميله للسرد القصصي المختزل والمختصر، وشغفه في استخدام بعض الكلمات والجمل العامّية لإيصال الفكرة أكثر، وأحياناً لإعطاء النص طعم السخرية وليكون أقرب للقارئ البسيط، فهو اعتاد أن يكتب لعامة الناس خصوصاً طبقة الفقراء والمهمشين والعمال حتى تصل كلماته لكافة الناس ولمختلف شرائح المجتمع.

العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

وطمليه كعادته يحب الخروج عن المألوف وخدش (الحيّاد) العام كما يحب أن يسميه، يكره الضجر ويحب مخالفة السياق ويهجو دائماً الملل ويمل من تشابه الأيام حيث كثيراً ما نراه يستخدم كلماتٍ وتعابيرَضمن هذا السياق مثل (ضجر، إحباط، تأنيب ضمير، حسرة على عمر يركض بسرعة)، بالإضافة إلى شتم الروتين وإدانة لتفاصيل لا يمل أصحابها من تكرار فعلها، وتوجيه نقد لاذع للبلادة وللسلوك المتكرر بحكم العادة، حيث يقول في أحد نصوصه (أيامي رتيبة مثل موال لمطرب مغمور في عرس أرملة).

يتناول طمليه في بعض نصوصه تجربته القاسية ومعاناته مع مرض السرطان متناولاً رحلة العلاج فيتحدث عن تساقط الشعر والعلاج الكيماوي وخلع الأضراس وخزعة اللسان وتصبح المستشفى مسرحاً لكثير من الأحداث في تلك النصوص، وقد كانت تلك النصوص مستوحاة من حالة المرض التي عانى منها والتي ارتبطت بتلك الفترة الصعبة والمؤلمة.
ومن الملفت للنظر أن نصوص طمليه وكالعادة مليئة بالصور الجميلة والخيال الخصب والجمل الساخرة المتماسكة البناء، ويلاحظ عليه التأثر والإعجاب بالأدب الروسي فيذكر في عدة نصوص بعض أعلام الأدب الروسي مثل ديستيوفسكي وبوشكين، ويشير أحياناً لبعض نصوصهم، ويستعين بالتاريخ كلما لاحت له فرصة لربط الماضي بالحاضر أو لتجديد أدوات السخرية من خلال بعض الإسقاطات وأحياناً حتى تكون إضافة قد تساعد على إيصال الفكرة المطروقة في النص، حيث يقول في أحد النصوص بعنوان الصهيل : (ضيفنا هو أبو موسى الأشعري، الشيخ الودود الذي خدعه عمرو بن العاص ممثل معاوية في عملية التحكيم المشؤومة التي أسفرت عن انقسام عباد الله إلى شيعة وسنة).

اقترب طمليه أكثر في كثير من نصوصه من الواقع السياسي المعاصر وعلق على ما آلت إليه العلاقات بين الدول العربية و خصوصاً عن موضوع الحدود حيث يعلّق على هذا الموضوع في نص بعنوان ورقة التوت فيقول: (وطن عربي واحد، مع ضغائن حدودية تعكر صفو العلاقة بين الأشقاء والدم عالدم حامي)، ويضيف: (أي حدود؟ من رسم الحدود؟ ومن يقنع الأعرابي بأن جواز السفر وثيقة هامة؟ وأن الدينار والليرة والدرهم وغيرها من العملات لا تصلح وأن موظف الجمارك ليس أكثر من غلام).

كما كان ينقد الأوضاع العامة خاصة السياسية منها سواء على الصعيد المحلي أو العربي أو الدولي، حيث يتناول بعض الأحداث السياسية والاقتصادية متهكماً على طريقة التعاطي معها من قبل الجهات المسؤولة، فكانت لديه القدرة الكافية على أن يهزأ بجرأة لأنه كان يمتلك كل أدوات التهكم وإجادة لعبة اصطياد الكلمات المناسبة وإتقان صناعة الجمل المليئة بالسخرية التي لها طعم ولون ورائحة خاصة وبمهارة عالية قل نظيرها.

عموماً محمد طمليه كاتب من طراز نادر وله مدرسته الخاصة في الكتابة الساخرة، ويحظى بشعبية وجماهيرية كبيرة لدى الناس، تمتاز نصوصه بأنها قصيرة لكنها تعج بالقصص والحكايات وتتسرب السخرية من جميع جوانبها حيث تعاين أحداث وترصد ملاحظات وتراقب تفاصيل وتثير الانتباه وتستدعي شخوصاً لتدين سلوكياتهم المتكررة، وتبوح بهموم وهواجس ذاتية، تستنطق المهمشين، وتستوحي نفسها من الشارع والرصيف ومن المخيم والبادية ومن المقاهي والأزقة والحارات الفقيرة.

العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

قصيدة العدد:
حَليبُكِ في دَمِ الشهداءِ ساقيةٌ/ الشاعر يوسف الخطيب

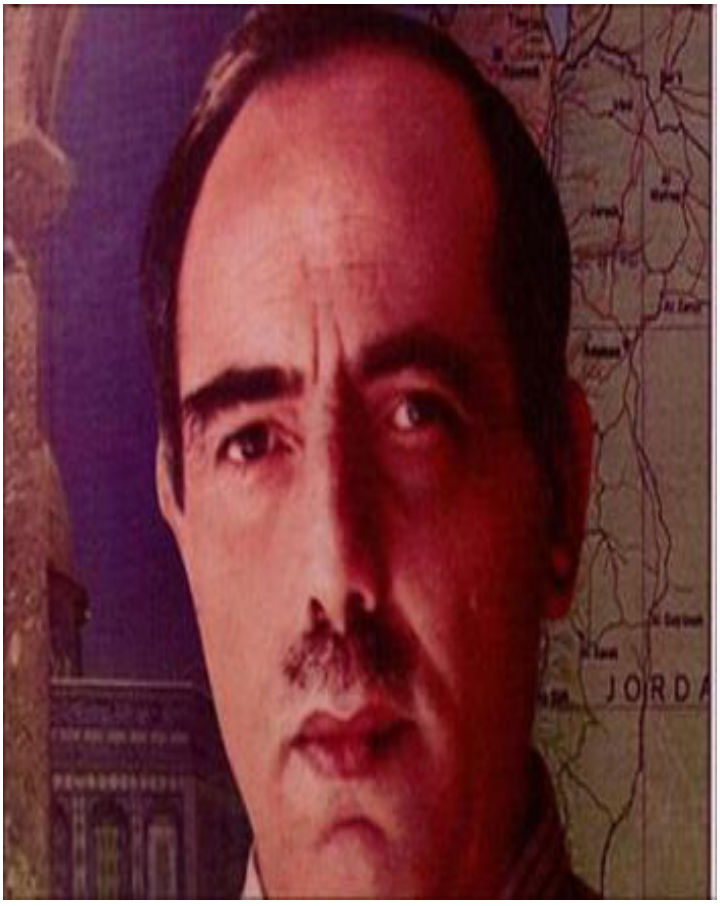

في معرض تقديم ملحمته الشعرية «رأيت الله في غزة»، من مؤلفات دمشق 1970، يقول الشاعر يوسف الخطيب:» ...فلقد بقيت غزة آخر مزقة من التراب الفلسطيني تحمل اسم «فلسطين» في أعقاب نكبة 1948، من بعد أن سميت الهضبة الفلسطينية الوسطى باسم «الضفة الغربية»، وسائر أرجاء فلسطين باسم «إسرائيل»!!!، وفوق ذلك كله، فإنها المدينة الفلسطينية الوحيدة التي ذاقت مرارة الاحتلال الصهيوني مرتين في نطاق عقد واحد من الزمن، مرة في حرب العدوان الثلاثي على مصر 1956، ومرة في حرب حزيران الأسود 1967، وفي المرتين معاً، دفعت ثمن احتلالها باهظاً ومريعاً، وظلت قرابة أربع سنوات بمثابة النأمة الوحيدة الصارخة التي تنم للعالم الخارجي عن أنه ما زال في الجسد العربي المترهل الفضفاض-من المحيط إلى الخليج- شيءٌ ما من الحياة، أو على الأصح من الحياء، وذلك بتصديها البطولي للاحتلال الصهيوني...حتى بالنواجذ والأسنان.»

ثم، وبعد أربعة عقود من تقديمه الأول، يكمل الخطيب تقديم رسالته الشعرية الإنسانية إذ يقول: «نعم لقد وضعت هذه القصيدة قبل أربعين سنة بالتمام والكمال، منتصراً فيها بأصغريَّ، قلبي ولساني، لا لغزة «فتح»، ولا لغزة «حماس»، لا لغزة «الشعبية»، ولا لغزة «الديمقراطية»، لا لغزة أي «دكان فصائلي» بدون استثناء، وإنما لغزة كل فلسطين، وكل الفلسطينيين...ولغزة كل المقاومين الوطنيين، من مسلمين ومسيحيين على حد سواء.»

من هنا، كانت الملحمة الرسالة، «رأيت الله في غزة».

حَليبُكِ في دَمِ الشهداءِ ساقيةٌ
تهيمُ على جهات الأرضِ
ثم تَصُبُّ في بحرِك

حَليبُكِ خمرُ داليةٍ
يَعُبُّ كؤوسَها الندمان
ثم يكون من دمهم طِلى ثغرِكْ

العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

حَليبُكِ غيمةٌ بيضاءُ
تشربُ منكِ لونَ الجرحِ
ثم تغوصُ في صدرِكْ

وليلةَ أن بَرَحتُكِ
ضِعتُ في الأحقافِ
أشردُ عنكِ في إثْرِكْ

وَعَدْتُكِ عند بستانِ القيامةِ
أَسرجي فرسَ الصباحِ
وَجَنّحي الدنيا على قبرِكْ

هَبي أَنَّ النجومَ توارت الليلة
فتلك تُضيءُ فيكِ بنادقُ الثوارْ
هَبي أَنْ شَحَّ منكِ الزيتُ في الشعلة
فتلك صُدورهم دَفَقَت نبيذَ النارْ
لأَنكِ أنتِ - في واحد-
هي البستانُ ، والندمانُ ، والخمرة
لأن حبيبَكِ الماردْ
هو الثُّوارُ، والثورة
وقلبُكِ وردةٌ مشكوكةٌ في الرمحِ
وهو على أَكُفِّ غُزاتِهِ جمره

وأنتِ الآنَ مَكَّةُ كُلِ قافلةٍ
وغارُ حِراءِ كُلِّ نبي
وأَنتِ الآن طيرُ البعثِ
يهبطُ معبدَ اللهبِ
يَحُطُّ قَتامَ هذا الليلِ
ينفخُ في قِرابِ السيفِ
روحَ الحرفِ
بين قبائلِ العربِ
وأنتِ الآنَ آمنةٌ
وأنتِ حليمةُ الصحراءْ
وَبَوْحُكِ صارَ جِبريلَ القصيدِ

العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

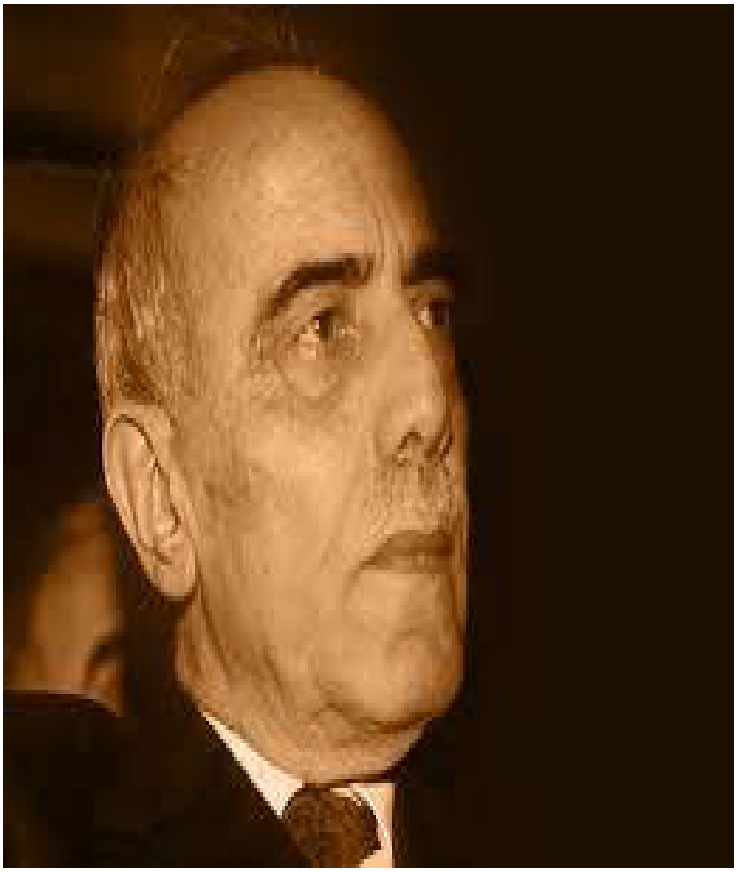

وسُورةَ الشعراء
وَجُرحُكِ صار مائدةَ المسيحِ
وزمزمَ الشهداءْ

وأعلمُ أَنَّ فوقَ الطُّورِ
مِن خشبي، ومِسماري
سأَصعدُ فيكِ جَلجَلتي
وَبَعْدُ، يكونُنِي الإنسانْ
فَخَلِّي بيننا وعداً
خِلالَ الليلِ ، والبستان
وَجُزِّي خُصلةً ، من فوق خَدِّكِ
نارَ تَذْكارِ
ولو أني نسيتُ إليكِ ما النسيان
وهاتي قبلةً لفمي
وهاكِ دمي
على شفتيكِ
لونَ شَقيقةِ النَّعمانْ

لأني فيكِ غُصتُ غَيابَةَ الجُبِّ
وأصعدُ فيكِ طُورَ الحزنِ، والحبِّ
وها أجراسُ قافلةٍ
تجيءُ إليَّ عبرَ سفوحِ جِلْعادِ
فسوف أَشِيدُ مِئذنتي
على بَوَّابةِ السلطان
وأقرأُ فيكِ، أدعِيَتي، وأَورادي
وأنشِدُ فيكِ إنشادي:
أُحِبُّ حبيبتي يا ليلُ
خُذْ بَوْحي وأسراري
وتحت ربيعِ شُرفَتِها
فتحتُ جروحَ قِيثاري
فنادِ عليَّ كلَّ الحيِّ
مِن عَسَسٍ، وَسُمَّارِ
يَظلُّ لديَّ قبلَ الموتِ

طلقة تنوير
رابطة القلم الدولي
www.pen.com
العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

قبلَ البعثِ
عُمْرُ فراشةِ النارِ
وَعُمْرُ قصيدةٍ تُتلى
وَأدعيةٍ
وَعُمْرُ عِناقْ
وعندئذٍ، يُشَبَّهُ للمدينةِ
أَنْ وَصْلَ اثنينِ
كان فِراقْ

حَليبُكِ في دمِ الشهداءِ منكِ إليكِ
أنتِ وَ هُم خُلوصُ البحرِ في المُزْنِ
وأنتِ وَ هُم نشيدُ الحبِ والحزنِ
نهايتُهُ بدايتُهُ على الكونِ

ونحن هنا ـ على الأحقافِ
مخبولون في مَسِّ من الجِنّ
فنادِينا، لعلكِ إن نفختِ الصُّورَ
قد تَجدين شِبهَ القلبِ، والأُذْنِ
يَهِيجُ بنا
وشِبهَ الدمعِ في العينِ
ونحن على أَرائِكنا
نَمُدُّ الآهَ تِلْوَ الآهْ
ونُحيي لِلصباحِ ولائِمَ العَرَقِ
ونغسلُ عارَنا بالعطرِ والدَّبَقِ
ونحن هنا

نُعَمِّرُ، من مجاعتنا، بيوتَ اللهْ
لكي ننساهُ بين خرائبِ الأقصى
لكي ننساه

ولكني صعدتُ إليهِ طُورَ سِنِينَ،
رحتُ إليهِ حتى قِمَّةِ المأساة
ويا قومي أُبَشِّركم رأيتُ الله

العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

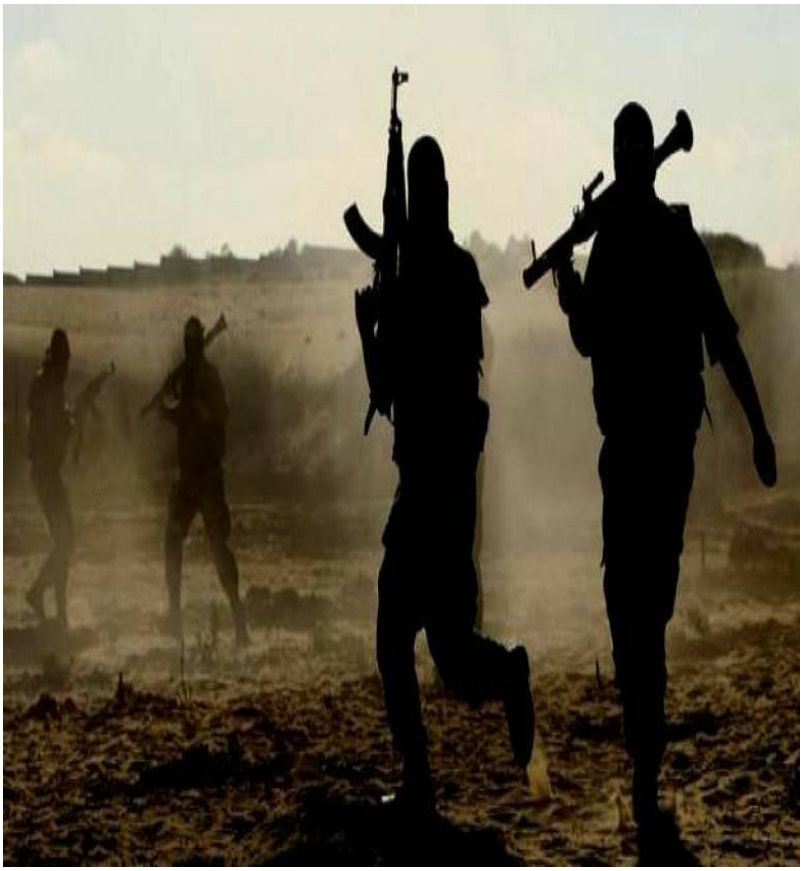

وكنتُ وكانت الأشياءْ
دُخاناً فوق وجهِ الغَمْرِ
وهو يُعيدُ خَلْقَ الكونِ من سِيناءْ

رأيتُ اللهَ بين حرائقِ الحربِ
يَضُمُّ لصدرِهِ الدنيا
يَصُبُّ الغيمَ في النابالم
يطبعُ قبلةَ الحبّ
رأيتُ اللهَ في غزة
يُؤَرجِحُ فوق نورِ ذراعِهِ طفلاً
إلى أَعلى
ويمسحُ في سكونِ الليلِ
أَدمعَ أُمِّهِ الثكلى
رأيتُ اللهَ في الساحاتِ
يُغمِضُ أَعينَ القتلى
ويَسقي في مدافنهم
غصونَ الآسِ والدِّفلى
رأَيتُ اللهَ يأتي الكوخَ والخيمة
يَزُقُّ صِغارَهُ السَّغِبين باللُّقمة
يطوفُ على شبابيكِ السجونِ
يُضِيءُ فوق شِفاههم بَسمة
رأيتُ اللهَ يَبْرَحُ قُبَّةَ الجامعْ
ويَنزلُ في صدورِ المؤمنينَ
ويملأُ الشارعْ
رأيتُ اللهَ رُوحَ العزمِ في الناسِ
أمامَ سَرِيَّةٍ يَمضي
ويكمنُ خلفَ متراسِ

رأَيتُ اللهَ ـ وَجْهَ الشمسِ
فوقَ عَباءَةِ السُّحُبِ
يَجيءُ مدينةَ الأبطالِ
يَسقي الأرضَ غيثَ الصبرِ
في جامٍ من الغضبِ

رأيتُ اللهَ يرفعُ من خَرائِبها
مَنارةَ كُلِّ بَحَّارِ

وها أَنا فوق صدر اليَمّ
أَمخُضُ مَوْجَ أَقداري
وأَسأَلُ عنكِ واغْزَاهُ
في مُقلِ النجومِ، ونَوْرسِ الصَّاري
وأَعلم أنَّ ما بيني وبينكِ
أُفْقَ أسوارِ
ولكني اعتليتُ إليكِ صهوةَ هِمَّتي
وجُنونَ إصراري
وأنتِ البحرُ والبَحَّارُ والمَرْسى
وَحُمَّى الأهلِ والدارِ
ومنكِ، إليكِ، أسفاري

وها أنا في عُبابِ اليَمّ
يسألني نزيفُ جبينِكِ المصلوبِ
إكليلاً من الغارِ
ولكن آهِ لو تدرينَ
ذاكَ العامَ لم نَفْلَح مواسِمَنا
وكلُّ حَصادِنا الصَّيفيّ
كان طحالبَ العارِ

وأنتِ، على بَهيمِ الليلِ
وَحْدَكِ كنتِ داليةَ الصباحِ
وكنتِ أُغنيةً من النارِ
أُرَدِّدُها على سَوْطِ الخليفةِ
آهِ أَحدِسُ يا ملاكَ الموتِ
من سيكونُ زُوَّاري

أُحِسُّ حفيفَ أَجنحةٍ
تُحَلِّقُ فوق أَسراري

العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

ونحنُ، على أرائِكنا
نَمُدُّ الآهَ تِلْوَ الآه
ونُحيي، للصباحِ، ولائِمَ العَرَقِ

وأنتِ، هناكَ
يشمخُ فيكِ وجهُ اللهْ
وجرحُكِ ريشةُ الشَّفَقِ
وأنتِ جزيرتي
وأنا إليكِ سفينةُ الأُفُقِ
وأنتِ قصيدتي
وأنا نزيفُ الحبرِ في الوَرَقِ
وأنتِ عِناقُ أَخْيلَتي
وأنتِ قلادةُ العُنُقِ
وثغرُكِ حَبَّتا كَرَزٍ
وعِطرُكِ غابتا حَبَقِ
وصدرُكِ جَرَّتا عَسَلٍ
وشَعْرُكِ نَخْلَتا عَذَقِ
ونام على يديكِ الدهرُ
نام البحرُ
واستيقظتِ فوق وِسادةِ الأَرَقِ

لأنكِ أنتِ صقرُ قُريشنا
وَبقيَّةُ الرَّمَقِ
لأَنكِ أَنتِ آخرُ رايةٍ لم تَهْوِ
فاصطفقي
لأنكِ أنتِ طيرُ البعثِ
فاحترقي
وَعَبْرَ رمادكِ انبثقي

حَليبُكِ في دمِ الشهداءِ
داليةٌ تذوبُ على لَظى ثَغرِكْ
وهم ساقُوكِ، حتى الصبحِ
ما شربوهُ من خَمرِكْ

طلقة تنوير
رابطة القلم الدولي
www.pen.com
العدد رقم (48) صدر في 1 آيار عام 2018 للميلاد

وأنــتِ وَ هُــم عِنــاقُ المــوجِ
والرمــلِ
وأنتِ وَ هُم مِزاجُ الدمعِ والكُحلِ
وأنتِ وَ هُم بلا أهلٍ
بلا أهلٍ
بلا أهلِ
فَشُقّي ثوبَكِ العربيَّ عن سِتْرِكْ
ودُقّي صدرَكِ المَسْبِيَّ في الليلِ
وناديا بأَعلى الطُّورِ
نَسهرْ ليلةَ البستانِ في حِجرِكْ
لأنَّ هناك وَعْدَ الصبحِ
ينهضُ من دُجى قبرِكْ

رسم العدد

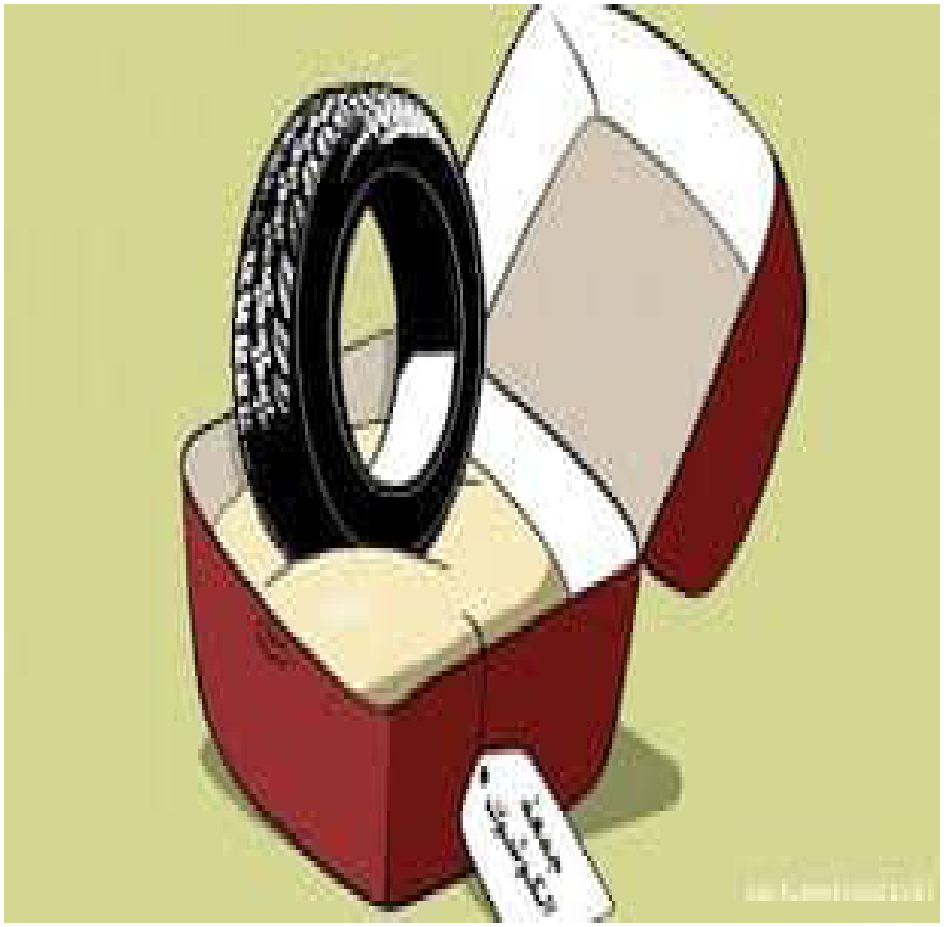

انتهى العدد